كلية الاداب / جامعة تكريت
قسم التاريخ / المرحلة الرابعة
الفكر الاسلامي
أ.د طيب صالح علاوي

علوم الحديث الشريف

كانت ولم تزل السنة النبوية بعد القرآن الكريم أعظم العلوم قدراً , وأسماها شرفاً وفخراً. فالسنة النبوية متمثلةً بعلوم الحديث الشريف هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم. ولم يحفظ شيء بعد كتاب الله تعالى من التلاعب والعبث
الجرح والتعديل . فالحكم على الحديث النبوي صحةً وضعفاً مبنيٌ على أمورٍ منها عدالة الرواة وضبطهم ، أو الطعن في عدالتهم وضبطهم ، لذلك قام العلماء بتصنيف الكتب التي فيها بيان عدالة الرواة وضبطهم منقولةً عن الأئمة المعدلين الموثوقين ، وهذا ما يسمى بـ (التعديل) كما بينوا في تلك الكتب الطعون الموجهة إلى عدالة بعض الرواة أو إلى ضبطهم وحفظهم منقولة أيضاً عن الأئمة غير المتعصبين ، وهذا ما يسمى بـ (الجرح) وعلى هذا الأساس أطلق على تلك الكتب (كتب الجرح والتعديل) .

لقد وضع السمعاني (ت 562هـ) عدة شروط أو صفات للمحدّث زادت على الخمسين صفة ، دعمها بالأحاديث الصحيحة والأقوال المأثورة عن الصحابة ورجال الحديث.

ولقد ثبتت كراهة كتابة الحديث النبوي في الصدر الأول، فقد رويَّ عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : **((لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدّثوا عني ولا حرج ومن كذب عليَّ – قال همام أحسبه قال متعمداً – فليتبوأ مقعده في النار))**. فكانت علة عدم تدوين الحديث كراهة الخلط واللبس مع كتاب الله.

وأمر الناس بحفظ السنن ، ونهى عن الاتكال على الكتبة ، لأن ذلك يؤدي إلى اضطراب الحفظ . وكان غير واحد من السلف يستعين على حفظ الحديث بأن يكتبه ، ويدرسه فإذا أتقنه محا الكتاب.

وأهتم العلماء المسلمون بجمع الحديث النبوي وتدوينه بعد العصر الأول بعد أن رسخ القرآن الكريم كتابةً وحفظاً ، وخوفهم من ضياع الحديث إذا اقتصر على الحفظ . وبدأ تمييز الحديث الصحيح من الحسن والضعيف من الغريب والموضوع.

فنشطت بذلك الدراسات في علم الحديث ، وصارت بغداد قبلة العلماء من المحدّثين ، يقصدونها لرواية الحديث وطلبه من شتى أنحاء العالم الإسلامي.

واعتمد علماء الحديث على الرحلة في طلبه اعتماداً كبيراً , والتقوا الشيوخ وتثبتوا من الأسانيد , وقد ذكر المستشرق آدم متز أنه نشأ في القرن الرابع للهجرة رسم جديد وهو إجازة المحدّث رواية الحديث من غير لقاء رجاله ومن غير إجازة مكتوبة تخوله حق الرواية .

والواقع أن ذلك يمثل أسلوباً جديداً من أساليب تلقي الحديث وتدوينه لكنه لم يحل محل الرحلة في طلب الحديث ، ذلك أن السماع يمثل التلقي المباشر لدى أهل الحديث ، واستمرت الرحلة في طلب الحديث عبر العصور الإسلامية المختلفة.

وظهر في بغداد خلال العصر البويهي مئات المحدّثين وزارها آلاف من طلاب العلم وقد اختص أغلبهم بعلوم الحديث . وقد وثقهم الخطيب ويحصون بالآلاف .

وشارك المتصوفة في رواية الأحاديث بالسند وظهر منهم أعلام في الحديث إلا أن الغالب على المتصوفة عند أئمة الجرح والتعديل ، أنهم لا اعتناء لهم برواية الحديث.

ومن علماء الحديث الذين اشتهروا في هذا العصر على سبيل المثال للحصر :-

- أبو عمر حمزة بن القاسم بن عبد العزيز الهاشمي (ت 335هـ) أملى الحديث في جامع المنصور ببغداد ، كان ثقة ، روى عنه الدارقطني وأبو حفص بن شاهين ، وله كتاب في الحديث.

- محمد بن عمر بن البختري الرزاز أبو جعفر المعروف بمسند بغداد (ت 399هـ) سمع سعدان بن نصر البزاز وعباس بن محمد الدوري وغيرهما وروى عنه أبو حفص بن شاهين ، كان ثقة ثبتاً ، له كتابين في الحديث.

- أبو عمر عثمان بن أحمد بن عبد الله بن يزيد الدقاق المعروف بابن السماك (ت 344هـ) سمع ابن المنادي وابن أبي سعد الوراق ، وروى عنه الدارقطني ، والحاكم النيسابوري , وكان من الثقاة.

– عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحسن العكبري(ت 347هـ) قدم بغداد وحدّث فيها.

– هبة الله محمد بن حبش أبو الحسين الفراء (ت 350هـ) سمع محمد بن عثمان بن أبي شيبة وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهم وحدّث عنه أبو الحسن بن رزقويه وكان ثقة.

– محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون أبو بكر المقرئ النقاش ، (ت 351هـ) موصلي الأصل ، حدّث عن إسحاق بن سفيان الختلي وغيره ، وروى عنه أبو بكر بن مجاهد ، والدارقطني وأبن شاهين ورزقويه وابن شاذان . وقد وقفه الدارقطني عن بعض ما أخطأ فيه ، فرجع عن الخطأ.

– شاكر بن عبد الله أبو الحسن المصيصي (ت 354هـ) قدم بغداد وحدّث بها عن جماعة من العلماء من أهل الشام . وحدّث عنه ابن رزقويه والسكري وغيرهما.

– محمد بن عمر بن محمد بن سالم بن البراء (ت 355هـ) وهو قاضي الموصل يعرف بابن الجعابي , روى عنه الدارقطني وابن شاهين وابن رزقويه ، كان يحفظ أربعمائة ألف حديث . وكان أوصى بأن تحرق كتبه فأحرقت جميعها وأحرق معها كتب للناس كانت عنده. ويبدو أن هذا الرقم مبالغ فيه ، أو أنه جمع الغث والسمين مما جعله يوصي بحرق ما جمعه من حديث .

عمر بن جعفر بن عبد الله بن أبي السري أبو حفص الوراق البصري (ت 357هـ) كان الناس يكتبون بإفادته ويسمعون بانتخابه ، حدّث عن الباغندي والبغوي وابن صاعد وروى عنه ابن رزقويه وقد ضعفه ، وكان قدم بغداد وسكنها إلى أن توفي بها.

– محمد بن أحمد بن الحسن أبو علي الصواف (ت 359هـ) سمع عبد الله بن أحمد بن حنبل وغيره ، وروى عنه الدارقطني وابن بشران وابن رزقويه وأبو نعيم الاصبهاني . وكان ثقة مأموناً ومن أهل التحرز.

– أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني (ت 360هـ) صاحب المعاجم الثلاثة . ارتحل في طلب الحديث ستة عشر عاماً ، وكتب عن الكثير وجمع وصنف وعمّر طويلاً ، وازدحم عليه المحدّثون ورحلوا إليه من الأقطار.

وألف الطبراني (المعجم الصغير) و (المعجم الأوسط) و (المعجم الكبير) . أقام في اصبهان ستين سنة وتوفي ودفن فيها.

– محمد بن الحسن بن سعيد أبو العباس المزجي البغدادي المعروف بابن الخشاب (ت 361هـ) صحب أئمة التصوف . وروى الحديث : وأثنى عليه الحاكم وبالغ في تعظيمه.

– ضرار بن رافع بن ضرار بن رافع بن عصم أبو عمرو الضبي (ت بعد 365هـ) وهو من أهل هراة ، قدم بغداد , وحدّث بها عن علي بن محمد بن رزين الهروي وغيره.

– الحسين بن محمد بن أحمد أبو علي الماسرجي الحافظ (ت 365هـ) رحل في طلب الحديث ، وصنف المسند الكبير في ألف وثلثمائة جزء مهذباً بعلله ، جمع حديث الزهري جمعاً لم يسبق إليه.